قراءة في كتاب أوضـــــح المسالك إلـــى ألفية ابن مالك

د. الصّديق علي يوسف بودوير - قسم اللغة العربية- شعبة اللغويات
جامعة نالوت

Ministry of higher Education and Scientific research
Nalut University
Arabic Language
A research entitled as: a study about Awdeh Almasalek Ela Alfiat Ebn Malek book
Submitted by: Asedeeg Ali Yousef

Abstract
This research included two sections in addition to the introductory section .In the introductory section, the research dealt with introducing the book ((Awda-AlMasalik ela Alfiyyah Ibn Malek)).
As for the first section, it dealt with introducing Ibn Malik and Ibn Hisham from their upbringing through life, scientific life and until death.
As for the second section, the researcher dealt with with Ibn Hisham method in his book ((Awda-AlMasalik ela Alfiyyah Ibn Malek)).
Among the results that the research reached is that Ibn Hisham ,in his explanation Awda AlMasalik ,wanted to connect students with an explanation free of complicated texts with complete clarification contrary to what most commentators on the on the Alfiyya do . He may mention if necessary.
Among the results is also criticisim of some of Ibn Malak's definitions, as in the case.
Ibn Hisham corrected what he saw as an error in Ibn Malik.
Ibn Hisham differed from Ibn Malik in detail and arrangement.

أولا – فكـــرة البحث: أردت في هذا البحث التعرف أكثر على كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك وهو أحد شروحها وكذلك التعرف على مكانة ابن هشام الانصاري العلمية، وآثاره، ومصنفاته، ومنهجه النحوي، ومدرسته، وشيوخه، ومنهجه في كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

ثانيا: منهجية البحث: اما المنهجية المتبعة في هذا البحث فهي وصفية.

ثالثا: هيكلية البحث: يتكون البحث من مبحثين بالإضافة إلى مبحث تمهيدي ثم ذُيل بخاتمة. المبحث التمهيدي: التعريف بكتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. والمبحث

الأول: يتناول دراسة حول ابن مالك وابن هشام تحتوي على مسيرتهما منذ النشأة مرورا بالحياة العلمية حتى الوفاة، والمبحث الثاني: منهج ابن هشام في كتابه أوضح المسالك. وأما الخاتمة: تحتوي على ما توصلت إليه من نتائج.

التمهيد :

يُعد كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أحد المصنّفات النّحوية والصرفية للعلامة أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري (تُوفي سنة 761 هـ)، ويعد هذا الكتاب شرحًا مفصلا وموسعًا على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ويتميز كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك بعدة مميزات أبــرزها:" (1)

1-**التأصيل والتأصيل:** حيث يقوم المؤلف بتأصيل المسائل النحوية ومناقشتها بعمق، مستدلا بالشواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي.

2-**الاستيعاب والتفصيل:** فهو يستوعب كافة المسائل التي وردت في ألفية ابن مالك ويشرحها بتفصيل وإيضاح.

3-**الاحتجاج والاستدلال:** حيث يستدل المؤلف على آرائه ومذاهبه بالأدلة والبراهين من كتب النحو والصرف المعتمدة.

4-الاستنباط والاستنتاج: فهو يستنبط القواعد والقوانين النحوية والصرفية من خلال تحليل الشواهد والنصوص.

5-المناقشة والترجيح: حيث يناقش الآراء المختلفة ويرجح ما يراه الأقوى والأصوب.

ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر الأساسية في دراسة النحو والصرف العربي، وقد حظي باهتمام كبير من العلماء والباحثين على مر العصور، وهناك عدة دراسات وبحوث تناولت كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ومن أبرزها :

1- بحث مقدم للحصول على درجة الاجازة العلية الماجستير من إعداد الباحث محمد نور غيث في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان سنة 2003 بعنوان : استدراكات ابن هشام الانصاري على ابن مالك من خلال أوضح المسالك ، حيث تناولت الدراسة كيفية تدارك ابن هشام لبعض النقاط التي وردت في الألفية وتوضيح مدى قوة هذه الاستدراكات وصحتها.

2- رسالة ماجستير أخرى بعنوان: موقف ابن هشام من ابن مالك في حاشيته الصغرى على ألفية ابن مالك للباحث بارق حسين (2) ، جامعة ديالي حيث تم التركيز على آراء

ابن هشام وموقفه من ابن مالك موضّحا كيف أنه أحيانا يؤيد ابن مالك ، وأحيانا يعرضه أو يستدرك عليه.

المبحث الأول ـ دراسة حول ابن مالك وابن هشام تحتوي على مسيرتهما منذ النشأة مرورا بالحياة العلمية حتى الوفاة:

أولا ـ التعريف بابن مالك نسبه، ومولده، ونشأته: هو محمد بن عبد الله بن عبد الله مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجيّاني الشافعي النحوي. نزيل دمشق، إمام النحاة، وحافظ اللغة، وُلد سنة ستمائة أو إحدى وستمائة (3)، نشأ ابن مالك بجيّـان بفتح الجيم وتشديد الياء وآخرها نون وهي مدينة مشهورة بالأندلس.

ثانيا ـ شـــيوخه: أخذ العربيـــة عن غير واحد وجالس بحلب ابن عمرون وغيره، وتصدّر لإقراء العربية ثم انتقل إلى دمشق وأقام بها، وأخذ بها يشتغل، ويصنّف (4) .

وذكر السيوطي عن ابن حيان أنه قال: " بحثت عن شيوخه فلم أجد له شيخا مشهورًا يُعتمد عليه، ويُرجع حل المشكلات إليه إلا أن بعض تلامذته ذكر أنه قال: قرأت على ثابت بن حيان بجيّان ، وجلست في حلقة ابي علي الشلوبين ، نحوا من ثلاثة عشر يوما، ولم يكن ثابت بن حيان من الأئمة النحويين؛ إنما كان من الأئمة المقرئين. قال: أي أبا حيان، وكان ابن مالك لا يحتمل المباحثة، ولا يثبت في المناقشة؛ لأنه أخذ العلم بالنظر فيه بخاصة نفسه، هذا مع كثرة ما اجتباه من ثمرة غرسه" (5) ، قال ابن الجزري: " وقد شاع عند كثير من منتحلي العربية أن ابن مالك لم يعرف له شيخ في العربية ولا في القراءات، وليس كذلك بل أخذ العربية في بلاده عن ثابت بن خيار، كما تقدّم وحضر عند الأستاذ أبي علي الشلوبين نحو العشرين يوما، وأخذ من السخاوي العربية والقراءات، ولما دخل حلب لازم حلقة ابن يعيش ثم حضر عن تلميذه ابن عمرون، ولزمه، وكان ذهنه من أصح الأذهان وملازمته العمل والنظر والكتابة، والتأليف وبدون ذلك يصير أستاذ أهل زمانه، وإمام أوانه" (6)

ثالثا ـ تلاميـــــذه: قال الذهبي: " روى عنه ولده الإمام بدر الدين، والإمام شمس الدين بن رجعون ، والإمام شمس الدين بن أبي الفتح ، وعلاء الدين ابن العطار، وزين الدين أبوبكر المزي، وشيخنا أبو الحسن اليونيني ، وأبو عبد الله الصيرفي، وقاضي القضاة ابن جماعة، وطائفة سواهم " (7)

رابعا ـ ثقافتـــه وعـصره: إذا أردنا أن نعرف ثقافة ابن مالك فلا بد أن نعرف العصر الذي نشأ فيه، والعلوم التي كانت ميسرة في ذلك العصر؛ لأن الإنسان وليد بيئته كما

يقال. وعلى الرغم مما كان يشغل الشرق من حروب الصليبيين وفتن التتار ومنازعات الأيوبيين فيما بينهم ـ كانت حركة العلم والفكر والأدب تسير في غير توقف أو تعثر، بخاصة بمصر والشام ــ نهضة علمية واسعة النطاق، وبخاصة علوم اللغة والنحو والقراءات إلى جانب علوم الدين من الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك. (8) ، فلقد كانت مواد الدراسة في الشرق عند مقام ابن مالك تتمثل في مدارسة النحاة لمفصل الزمخشري، وكتاب سيبويه، وجمل الزجاجي إلى جانب مقدمة ابن الحاجب في النحو المسماة بالكافية، ومقدمته في الصرف المسماة بالشافية. وكانت هذه هي الكتب الشهيرة التي تدرس في مجال النحو والصرف في الشرق، ولا شك أن ابن مالك قد اطلع على هذا كله، وكان لهذا أثره الكبير في إنتاجه العلمي الغزير(9) .

وأما ثقافة ابن مالك فتظهر فيما اتصف به من علوم العربية: نحوها وصرفها ولغتها وشعرها، وعلوم القراءات، وعللها وغير ذلك. قال الذهبي عنه: " وتصدر بحلب لإقراء العربية، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، وأربى على المتقدمين، وكان إماما في القراءات وعللها، صنف فيه قصيدة دالية مرموزة في مقدار الشاطبية، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيّها. وأما النحو والتصريف فكان بحرا لا يجاري، وحبرا لا يباري، وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكان الأئمة الأعلام يتحيرون فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها. وكان نظم الشعر سهلا عليه رجزه وطويله وبسيطة وغير ذلك. هذ ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمت، ورقة القلب، وكمال العقل والوقار" (10)

خامسا ـ مذهبه النحوي أو مدرسته : وقد ترتّب على ازدهار الحركة العلمية في الأندلس أن كثُر فيها المشتغلون بمختلف العلوم ولا سيما اللغوية، وتباروا في تصنيف المؤلفات في النحو وغيره، فتطلعت إليه الأنظار في سائر البلاد الإسلامية وملأت قرطبة الأندلس الأسماع وخلفت بغداد العراق خصوصا في النحو. قال ابن سعيد المغربي: " والنحو عندهم ــ أي : الأندلسيين ــ في نهاية من علو الطبقة حتى أنهم هذا العصر ــ يعني القرن السابع الهجري ــ كأصحاب الخليل، وسيبويه لا يزداد ــ أي : النحو على أيديهم مع هرم الزمان إلا جِدّةً وهم أي في الأندلس كثيرو البحث، وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا في علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق التمييز، ولا سالم من الازدراء"(11)، وقد استحدث الأندلسيون مذهبا رابعا إلى جانب مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين، وكانت

دعامة هذا المذهب الجديد الآراء النحوية التي أبداها علماؤهم في بعض المسائل والفروع وهي منتشرة في كتب النحو في المباحث التي ترتبط بها. وبعد أن تأصلت مسائل مذهبهم وذاعت قواعده وكثرت فروعه وامتدت حياته طويلا وشـرع المشارقة في الأخذ عن علمائهم ولا سيما من أولئك الذين نزحوا إلى المشرق للحج أو للإقامة ومعهم مؤلفاتهم التي درسوها في مساجد المشرق ومدارسه كابن مالك، وأبي حيان وغيرهم(12)

سادسا – وفاته : توفي ابن مالك رحمه الله ثاني عشر رمضان سنة 672 هـ وقد نيّف على السبعين.(13)

2ـ دراسة حول ابن هشام الأنصاري :

أولا ـ التعريف بابن هشام نسبه، ومولده، ونشأته: هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ولد في القاهرة في ذي القعدة سنة 708 هـ، الموافق سنة 1309م ، وهو مصري النشأة علما وتعلما وتعليما (14) ، ولعل أول من ترجم له ابن حجر العسقلاني، وهو مصري النشأة ـ أيضا ـ وكل من ترجم له بعد ذلك أخذ ترجمته من ابن حجر ، ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قول ابن خلدون : و مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية، يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه(15)

ثانيا ـ شيوخه : منذ نعومة اظافره كان ابن هشام محبا للعلم والعلماء، ويعتبر من أبرز علماء النحو والأدب في القرن الثامن عشر الهجري، فقد كان واسع الاطلاع وحَسنُ العبارة، وتميز بالتواضع والشفقة والرقة فأخذ العلم على أيدي كبار علماء عصره مثل أبي حيان الغرناطي، وعلي بن عبد الله التبريزي، وتاج الدين الفاكهاني، وبدر الدين بن جماعة، وتفقه للشافعي، ثم تحنبل فحفظ مختصر الخرقي ، في دون أربعة أشهر ، قبل وفاته بخمس سنين ، وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ ، ومن ملازمة ابن هشام لابن المرحل ، وحضوره دورس تاج الدين التبريزي شرح الإشارة له ، وتحديثه عن ابن جماعة ، ويفهم من ذلك أن شيوخه في النحو هم : بن المرحل ، تاج الدين التبريزي ، تاج الدين الفكهاني، وهؤلاء من فطاحل النحو في عهده (16) .

ثالثا – تلاميذه : لم تذكر كتب التراجم تلاميذ ابن هشام، ولعل أكثرهم من غير المشهورين، واكتفى صاحب البغية بالقول: ((وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم.))(17)

رابعا- ثقافته وعصره : إن ابن هشام الأنصاري نشأ وترعرع في العصر المملوكي الذي يمتد منذ سقوط الأيوبيين وذهاب دولتهم سنة 648 هـ، وامتد هذا العصر طويلا حتى سنة 923 بذهاب دولة المماليك علي يد العثمانيين. **و**مصر والشام في هذه الآونة كانتا مستقلتين تخفق عليهما راية واحدة حملها المماليك الذين ولوا أمرهما بعد الأيوبيين، واتخذوا القاهرة قاعدة ملكهم، وكان المماليك ـ لشعورهم بنقص أحسابهم ولأنهم دخلاء ـ يحاولون استكمال مهابتهم بغرس ما يثمر النفع للبلاد، ثم حادث بغداد موجبا إليهم جسامة العبء الملقى على كاهلهم إذا لم يبق للإسلام بلاد ذات شوكة تعقد عليها الآمال سوى القطرين، والأندلس في دور احتضارها الأخير، فناصروا اللغة العربية لأنها لغة الدين والشعب ولم تحل جنسيتهم التركية والجركسية دون اعتمادها لسان الدولة الرسمي وتحبيب علمائها إلى نشرها ورفع لوائها ليستعيدوا مجد العراق في بلادهم وقد كان ذلك مستحكما في أدمغتهم.(18)

لقد كان القرن السابع الهجري وما ذخر به من انتشار حركة علمية واسعة بمثابة تربة طيبة، تعهدها ومهدها حذاق الزراع، وأودعوا فيها أنفس ما وصلوا إليه من بذور، وأنزل الله عليها من المعصرات ماء ثجاجا ليخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا، وأزهرت وأثمرت وآتت أكلها ضعفين.

في هذه التربة النقية، أو البيئة العلوية، نشأ ابن هشام، فتعلم ما كان يتعلمه نجباء ذلك العصر من أبناء مصر، وقد خلفت مصر بغداد في كل ما كان لها، ومن طالع اليمن والسعد انصراف همم المماليك الذين كانوا يحكمونها إلى تقريب العلماء والأدباء، وغمرهم بالعطايا الفاخرة بعثا لهمهم، وشحذا لقرائحهم واستدرارا لصوب عقولهم.

وما خلّف ابن هشام من مصنفات في علوم العربية تدل دلالة واضحة على تبحره في علوم العربية وسعة ثقافته فيها، وبالأخص علم النحو.

وقد أتقن ابن هشام من مصنفات في علوم العربية ففاق الأقران بل الشيوخ، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم، وقد تصدر لنفع الطالبين، وانفراد بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البارع، والاطلاع المفرط والاقتدار على تصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصودة بما يريد مسهبا وموجزا مع التواضع والبر ورقة القلب.

خامسا ـ مذهبه النحوي : ((ومنهجه في النحو هو منهج المدرسة البغدادية، فهو يوازن بين آراء البصريين والكوفيين ومن تلاهما من النحاة في أقطار العالم العربي، مختارا لنفسه معها ما يتمشى مع مقاييسه مظهرا قدرة فائقة في التوجيه والتعليل والتخريج،

وكثيرا ما يشتق لنفسه رأيا جديدا لم يسبق إليه، وخاصة في توجيهاته الإعرابية على نحو ما يتضح لقارئ كتابه المغني.

وهو في أغلب اختياراته يتفق مع البصريين، ومن ذلك اختياره رأي سيبويه في أن المبتدأ مرفوع بالابتداء، وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ، وأن كان تعمل الرفع في اسمها والنصب في خبرها، وأن المفعول منصوب بالفعل، وأن المضاف إليه مجرور بالإضافة ولا بمعنى اللام المحذوفة" (19) وكان كثير الإجلال لسيبويه وجمهور البصريين، وكان يرى رأي يونس بن حبيب في أن تاء أخت وبنت ليست للتأنيث وكان يرى رأي سيبويه وجمهور البصريين في أن المحذوف (تأمروني) نون الرفع لا نون الوقاية إلى غير ذلك.

وليس معنى ذلك أنه كان متعصبا لسيبويه وجمهور البصريين؛ وإنما معناه أنه يوافقهم في الكثرة الكثيرة من آرائهم النحوية ، ولكن دون أن يسد الأبواب أمام بعض آراء الكوفيين والبغداديين حيث يراها جديرة بالإتباع ، ومما كان بتابع فيه الكوفيين أن الفعل ماض ومضارع فقط ، وأن الأمر فرع من المضارع المصحوب بلام الطلب مثل : لتقم ، حُذفت للتخفيف في مثل : قم واقعد ، وتبعها حرف المضارعة ، يقول : " وبقولهم أقول لأن الأمر معنى حقه أن يؤدى بالحرف ولأنه أخو النهي ولم يدل عليه إلا بالحرف ولأن الفعل إنما وُضع لتقييد الحدث بالزمان المحصل وكونه أمرا ، وخبرا خارج عن مقصوده ، وكان يجور مع الكوفيين منع صرف المنصرف في ضرورة الشعر ، وكذلك مد المقصور نحو قول الشعراء " فلا فقر يدوم ولا غناءُ(20) بمد كلمة غناء ، إلى غير ذلك من الآراء .

سادسا ـ آثاره ومصنفاته :

الإعراب عن قواعد الإعراب.

الألغاز (وهو كتاب في المسائل النحوية صنفه لخزانة السلطان الكامل محمد بن العادل، طبع في مصر).

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب.

التذكرة (ذكر السيوطي أنه كتاب في خمسة عشر جزءاً).

التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل.

الجامع الصغير.

الجامع الكبير.

شرح البردة (شرح بانت سعاد).

شرح قطر الندى وبل الصدى.
شرح اللمحة لأبي حيان التوحيدي.
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.
قطر الندى وبل الصدى.
القواعد الكبرى.
القواعد الصغرى
فوح الشذا في مسألة كذا
شرح الشواهد الكبرى
شرح الشواهد الصغرى (21)

سابعا - وفاته : توفي ابن هشام -رحمه الله تعالى- ليلة الجمعة في الخامس من ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبعمائة من الهجرة، الموافق سنة 1360 من الميلاد.)(22)

المبحث الثاني - منهج ابن هشام في كتابه أوضح المسالك :

تميز ابن هشام في كتابه أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك بالآتي :

أولا ـ شـــرح الألفية من غير تعرض للمتن إلا نادرا: توخى ابن هشام في كتابه أوضح المسالك شرح الألفية بأسلوبه هو دون أن يتعرض لذكر المنظومة، وهذه طريقة انفرد بها ابن هشام دون غيره من شراح الألفية كابن عقيل والأشموني وغيرهما.

لقد ساير ابن هشام في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك فجلى ما اشتملت عليه من معان، وفتح ما استغلق من أبياتها، وأوضح ما أبهم من إشاراتها، وجعل محتوياتها سهلة سائغة، يحس هذا من قرأ فصلا من هذا الكتاب، ثم قفي على أثره بمراجعة ما نظمه ابن مالك في هذا المعنى.

ويعتبر كتاب أوضح المسالك سهل المباني دقيق المعاني، يشف لفظه عن معناه، يدرك الناظر فيه ما رمى إليه مؤلفه دون أن يلتبس عليه غرض، أو تخفى عليه خافية، وهو إلى الألفية اهدى سبيل، للناشئ نعم الدليل ولا يجد الباحث في معاجم اللغة العربية لهذا الكتاب عنوانا مطابقا مما وصفه به مؤلفه.(23) قال ابن هشام في مقدمة هذا الكتاب: "أما بعد حمد الله مستحق الحمد وملهمه... فإن كتاب الخلاصة الألفية، في علم العربية، نظم الإمام العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الطائي، رحمه الله، كتاب صغر حجما، وغزر علمًا، غير أنه لإفراط الإيجاز، قد كان يعد من جملة الألغاز.

وقد أسعفت طالبيه، بمختصر يُدانيه، وتوضيح يسايره ويباريه، أحل به ألفاظه وأوضح معانيه، وأحلل به تراكيبه، وأنقح مبانيه، وأعذب به موارده، وأعقل به شوارده، ولا أخلي منه مسألة شاهد أو تمثيل، وربما أشير فيه إلى خلاف أو نقد أو تعليل، ولم آل جهدًا في توضيحه وتهذيبه، وربما خالفته في تفصيله وترتيبه وسميته: "أوضح المسالك، إلى ألفية ابن مالك(24)

وللتدليل على ما ذكر آنفا نورد؛ نورد شيئا من الشرح حتى يوقف عليه دون الرجوع إلى المصدر المذكور.

قال ابن هشام في باب الكلام: ((الكلام -في اصطلاح النحويين عبارة عمل اجتمع فيه أمران: اللفظ، والإفادة.

والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف، تحقيقا أو تقديرا.

والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه.

وأقل ما يتألف الكلام من اسمين: كـ "زيد قائم" ومن فعل اسم، كـ "قام زيد" ومنه "استقم"؛ فإنه من فعل الأمر المنطوق به، ومن ضمير المخاطب المقدَّر بأنت)) (25)

وعلى هذه الكيفية يسير ابن هشام في غالب كتابه، فلا يذكر المتن إلا نادرا إذا دعت إليه الحاجة.

ثانيا ـ عرض المسائل الشعرية خاليةً من تقعيد المتون : جرت عادة عند العلماء في القرن السابع وما بعده أن يصنفوا العلوم على طريقة المختصرات ؛ سواء كانت شعرا أو نثرا ، وهو ما يسمى عندهم بالمتون ، وبلغت هذه المتون منزلة رفيعة ، حتى قيل عنها " من حفظ المتون حاز الفنون " ثم اتبعوا هذه المتون بالشروح ، والشروح بالحواشي كما هو معروف ، وهذه المتون قد يشوبها الكثير من الغموض والتعقيد ، وإن كان قصد مؤلفيها وهم في عصور الاضطراب والفتن أن يوقفوا على كثير من العلوم في المتون الوجيزة حتى يسهل حفظها على الدارس ، ولكن مع مرور الأيام صارت عقدة حقيقة في دراسة العلم ، وبالأخص في العصور الحديثة فصارت المتون شبه ألغاز وأحاج.

وابن هشام يطالعنا في كتابه أوضح المسالك بنمط مختلف عما عليه النحاة في عصره، فشرخ الألفية شرحا متوخيا فيه السهولة والإيضاح فأتى بشرح عجيب في بابه لم يسبق إليه كم هو ظاهر.

وبهذا يكون ابن هشام قد أسعفنا بشرح يلبي حاجة العصر، ويأوي إليه الدارسون لينهلوا من معينه الصافي الذي لا ينضب. ومما يجمل ذكره في هذا المقام؛ التمثيل بشيء من شرحه يوقف على نموذج ما تقدم آنفا.

قال ابن هشام ": ((الاسم نكرة، وهي الأصل، وهي عبارة عن نوعين:

أحدهما: ما يقبل "أل" المؤثرة للتعريف، كرجل، وفرس، ودار، وكتاب.

والثاني: ما يقع موقع ما يقبل "أل" المؤثرة للتعريف، نحو: "ذي، ومن، وما". في قولك: "مررت برجل ذي مال، وبمن معجِب لك، وبما معجِب لك" فإنها واقعة موقع "صاحب، وإنسان، وشيء))(26)، وهكذا.

ثالثا ـ النقد لبعض تعريفات ابن مالك : ومن أمثلته قوله في باب الحال بعد ذكر كلام المصنف الحال وصف فضلة منتصب مفهم في حال ... وفي هذا الحد نظر؛ لأن النصب حكم، والحكم فرع القول، متوقف على الحد فجاء الدور.(27)

رابعا ـ تصحيح ما رآه خطأ: يلاحظ الباحث ابن هشام قد يصحح ما احتج به ابن مالك في قضية ما مثل: عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، فإن ابن مالك جوزه في الشعر والنثر، وابن هشام خصه بالشعر فقط لعد الدليل من النثر.

وشاع نحوُ خاف ربه عمر وشد نحوُ زان نوره الشجرُ(28)

قال ابن هشام: " ولا يجـــوز أكثر النحويين نحو: "زان نوره الشجر" لا في نثر ولا في شعر، وأجازه فيهما الأخفش وابن جني والطوال وابن مالك، احتجاجا بنحو قوله:

جزى ربُّه عني عديَّ بن حاتِمِ(29) .....

والصحيح جوازه في الشعر فقط(30)

خامسا ـ مخالفة ابن مالك وتفصيله وترتيبـــه : وأما مخالفة ابن هشام لابن مالك في ألفيته في تفصيل الأحكام وترتيب الحديث عن الأبيات، فواضح في قوله في المقدمة: " وربما خالفته في تفصيله وترتيبه وقد فعل ذلك في التفصيل : حيث جعل ابن مالك الاسم والفعل والحرف أقساما للكلم، في قوله: اسم وفعل ثم حرف للكلم ، وجعلها ابن هشام أقساما للكلمة حيث قال: "والكلم: اسم جنس جمعي، واحدة كلمة وهي الاسم والفعل والحرف" وفعل ذلك في الترتيب حيث تكلم في باب النائب عن الفاعل أولا وآخر الكلام على كيفية بنا الفعل المجهول على عكس ما جاء في الألفية ولذلك مواضع عديدة.(31)

الخاتمة:

اشتمل البحث إجمالاً مما سبق ذكره على مبحثين بالإضافة إلى مبحث تمهيدي. ففي المبحث التمهيدي تناول البحث التعريف بكتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وأما المبحث الأول فتناول التعريف بابن مالك وابن هشام منذ نشأتهما مرورا بالحياة العلمية وحتى الوفاة ، وأما المبحث الثاني فتناول منهج ابن هشام في كتابه أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ومن النتائج التي توصل إليها البحث:

-أن ابن هشام في شرحه أوضح المسالك أراد أن يربط الدارسين بشرح خالٍ من تعقيد المتون مع تمام الإيضاح خلافا لما عليه عامة شراح الألفية، وربما يذكر المتن إذا دعت إليه الضرورة.

- من النتائج – أيضا- النقد لبعض تعريفات ابن مالك كما في الحال.

- تصحيح ابن هشام ما رآه خطأ عند ابن مالك.

- مخالفة ابن هشام لابن مالك في التفصيل والترتيب.

الهوامـــش:

1-انظر: ابن هشام الانصاري (آثاره ومذهبه النحوي) للدكتور علي فودة نيل ، عمادة شؤون المكتبات ،جامعة الملك سعود ،ط1/،1985 .

2-انظربارق حسين،موقف ابن هشام من ابن مالك في حاشيته الصغرى على الفية ابن مالك ،الأمانة العامة للمكتبة المركزية ،جامعة ديالي.

3-انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي ، حوادث ووفيات ، تحقيق د عمر عبد السلام تدمري ، ص111 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2003 .

4- انظر : شذرات الذهب لابن عماد 339/5 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان 1994 .

5--بغية الوعاة ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/1 ، 2004 .

6-غاية النهايات في طبقات القراء ، لابن الجزري ،181/2 ، مكتبة الخانجي بمصر ، 1933 .

7-تاريخ الإسلام للذهبي حوادث ووفيات 670 -671 .
8-انظر مقدمة التحقيق لشرح الكافية الشافية لابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000
9-انظر: مقدمة التحقيق لشرح الكافية الشافية لابن مالك 13/1)
10-تاريخ الإسلام للذهبي حوادث ووفيات 671-680 .
11 -نفح الطيب للمقري، 106/1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، بدون تاريخ
12-انظر الوسيط في تاريخ النحو العربي للدكتور عبد الكريم محمد الأسعد، ص144، دار الشوف للنشر والتوزيع، ط/1 ، الرياض ، 1992 .13
13-انظر تاريخ الإسلام للذهبي ـ حوادث ووفيات 671-680 ، ص 109 .
14انظر الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني , 308/2 ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان، بدون تاريخ .
15-انظر بغية الوعاة (104/2)
16-انظر الدرر الكامنة (308/2)
17بغية الوعاة 2،28/
18-انظر نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص158 -159، دار المنار، 1991
19انظر الانتصاف من الانصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .
20- هذا عجز البيت لم ينسب إلى قائل معين وصدره سيغنيني الذي أغناك عني ... ، انظر أوضح المسالك على ألفية ابن مالك لابن هشام 282/4، تحقيق يوسف بركات ، دار الفكر بيروت ، لبنان ، 2000 .
21-انظر : الدرر الكامنة 309/2 ، بغية الوعاة 105/2 .
22انظر الدرر الكامنة ، 2-310 .
23-انظر ابن هشام وأثره في النحو العربي لدكتور يوسف عبد الرحمن الضبع، ص 86، دار الحديث، القاهرة.
24-انظر أوضح المسالك، لابن هشام، 31/1
25-أوضح المسالك لابن هشام ، 33/1
26-المرجع السابق ، 98/1
27-انظر أوضح المسالك لابن هشام
28- الألفية لابن مالك ص20 ، دار السلام ، 2003
29-هذا صدر البيت وعجزه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ، البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص130 ، دار صادر بيروت ط/3 ، 2003 .
30-أوضح المسالك لابن هشام 110/2
31- انظر مقدمة تحقيق التصريح 39/1 للدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم ، الزهراء للإعلام العربي ، ط/1 ، 1992 .